الملف

جورج شاهين

على عتبة انطلاق مفاوضات لبنانيّة - إسرائيليّة لبنان لم يكن يوماً في موقع الضعف تقنيّاً وقانونيّاً

في غمرة الحديث عن احتمال اطلاق مفاوضات جديدة بين لبنان واسرائيل، سواء برعاية اممية او اميركية، توسعت السيناريوهات المحتملة وتعددت معها المواقف التي تحاكي شكلها ومضمونها قبل غاياتها والنتائج. خصوصا انها ليست المرة الاولى التي تجري فيها مثيلاتها في العقود الثلاثة الماضية، مما اوحى بضرورة التذكير بالتجارب السابقة وما انتهت اليه

"الامن العام" التقت اللواء الدكتور عبدالرحمن الشحيتلي والعميد بسام ياسين.

الشحيتلي: التاريخ يعيد نفسه مع قائد الجيش اليوم

■ ما الذي سبق ورافق مرحلة تكليفك المفاوضات لترسيم الحدود مع اسرائيل وكيف انتهت؟
□ قبل ان نتولى المفاوضات بعد حرب 2006، كان التواصل قائما مع اسرائيل عبر قيادة قوات اليونيفيل بنصيحة اسديت الى لبنان، وكان قائد قوات الطوارئ مع المستشار السياسي يتوليان المفاوضات بين البلدين قبل ان تنشأ صيغة الاجتماعات الثلاثية التي نص عليها القرار 1701. وحين بوشر العمل بها، بدأ دورنا في مقر اليونيفيل بوجود ضابط رفيع من لبنان وآخر من اسرائيل ليكونا على اتصال دائم بقائد اليونيفيل 24 ساعة يوميا وعلى مدى الاسبوع. وكنا نجتمع اما بدعوة قائد اليونيفيل، واما بطلب من أحد الطرفين لمعالجة حدث طارئ. عند بدء هذه المفاوضات، كان الهدف الاساسي ان نجلس على طاولة واحدة. لكن منذ الجلسة الاولى رفضت الفكرة، وطلبت ان يكون كل منا في طابق لئلا يكون هناك احتكاك مباشر لكن هذه الطريقة لم تنجح. ذلك ان العمل كان يستلزم ان نكون في غرفة واحدة للتنقل بين الخرائط، فاخترنا قاعة كبيرة.

■ هذا في الشكل، ماذا عن مضمون المفاوضات واليتها؟
□ في الحقيقة، التفاوض هو علم وفن في الوقت نفسه. فهو يتطلب اعصابا هادئة، وعدم السماح للطرف الاخر باستفزازك، وان تعرف كيف تمرر ما تريده دون صدام مباشر. وهو ما دفعني الى ان اطلب مسبقا من قائد اليونيفيل معرفة ما سيكون مطروح سلفا وهو ما سهل علينا التصرف في حال كان التوافق واردا، وفي حال العكس كنا نرفض. بهذه الطريقة كنت مستعدا لتناول القضايا الحساسة واتفادى الصدام معهم. ولما كنت افاجأ احيانا بطروحات اسرائيلية كنت أرد عليها بمعطيات جغرافية وتاريخية دقيقة لدحضها.

■ الى من كنت تلجأ قبل الذهاب الى الاجتماعات؟
□ اولا، كنت اتواصل مع قائد الجيش، فهو المعني المباشر والمسؤول الاول. ثم مع رئيس الحكومة، واذا وجدنا ان الامر يستدعي، نلتقي برئيس الجمهورية ونناقش معه النقاط الاساسية، وكنت ازور رئيس مجلس النواب ليكون على معرفة عامة بما يجري.

■ كيف كانت طريقة التعاطي مع اليونيفيل؟
□ حدث احيانا ان شكتني قيادة اليونيفيل الى رئيس الحكومة اولا ان لم اتجاوب مع طروحاتهم، ثم لدى رئيس مجلس النواب في المسألة نفسها. وكنت بدوري اشرح لهما اسباب رفضي، عندما يكون الامر مرتبطا بموقف وطني لا يمكن التراجع عنه الا اذا سمح لنا سياسيا بذلك وهم يردون لهم الجواب.

■ هل من اوجه شبه بين ما كان يجري واليوم؟
□ بصراحة التاريخ يعيد نفسه، فبعض ما يجري اليوم، لا سيما مع قائد الجيش ذكرني بما حصل يوما خلال المفاوضات. واعادني الى تاريخ سابق عندما جاء رئيس الوفد الاسرائيلي منتقدا ما جاء في "امر اليوم" لقائد الجيش اما في عيد الجيش او الاستقلال عن "العدو الاسرائيلي" وقال لي: "أنتم تعلمون عسكرييكم ان اسرائيل عدو، نحن جيش اسرائيلي، ولسنا عدوكم. وهذا الخطاب يجب ان تغيروه". وهو امر يدل ان ما حصل في الامس ما زال يؤرقهم، فهم يرغبون بعبارة "دولة اسرائيل" بدلا من "العدو الإسرائيلي". وهو امر يدفعني الى توجيه التحية الى قائد الجيش العماد رودولف هيكل، الذي، رغم كل الضغوط التي تمارس عليه ما يزال متمسكا بالثوابت اللبنانية.

■ ما هي نقاط القوة التي كنت تشعر بها ونقاط الضعف ايضا؟
□ بصراحة، انا لم اشعر يوما بأنني في موقع ضعف خلال المفاوضات. وكنت اشعر انني قوي، وان لبنان لا يزال قويا. وما اريد قوله هو ان طريقة التفاوض اهم من بنود التفاوض. فعندما كنا نرى البعثة اللبنانية في الامم المتحدة تقود الكتلة العربية فيها. وتأتي الدول الكبرى لتسأل البعثة اللبنانية: "ما رأيكم"؟ هذا يشعرك بقوة كبيرة من ناحية الوضع الدولي". اما داخليا، وبعدما لم تستطع اسرائيل تحقيق اهدافها بعد حرب عام 2006، شعرنا باننا أصبحنا في موقع قوة. فلبنان اثبت انه قادر على حماية حدوده بالمعادلة التي كانت قائمة آنذاك. ولما حصل القرار 1701 على دعم دولي واسع، وشاركت قوات من الدول الاوروبية من الصف الاول لتعزيز اليونيفيل. كانت محاضر الجلسات ترسل الى حكوماتهم. وان حصل اشكال كان ضابط من البنتاغون يأتي الينا متفقدا مكانه، ثم يذهب الى اسرائيل ليقول لهم: "انتم مخطئون، ولا يمكنكم التعامل مع الجيش اللبناني بهذه الطريقة". وهو ما حصل في أحد الاشكالات في بلدة العديسة، قال لنا ضابط اميركي عاين الموقع: "رأيت الضابط الاميركي بلباس ضابط لبناني، والجندي الاميركي بلباس جندي لبناني". اي انه رأى مستوى كبيرا جدا في اداء الجيش وانضباطه.

■ ما الفرق بين الامس واليوم؟
□ تعتقد اسرائيل اليوم انها خاضت حربا عسكرية وانتصرت، وهي تريد ان تفرض شروطها. ولكنها تعلم انها لم تحقق اهدافها طالما انها لم تحصل على توقيعنا على الحدود كما تريدها بمعزل عن حدود 1924. كما انها لم تمنعنا من استخدام كلمة "عدو" في خطابنا الرسمي، وطالما اننا لم نطبع لن يتحقق مبتغاهم.

■ هل غير احتلال النقاط الجديدة من واقع الحدود؟
□ لم تضف النقاط المحتلة جديدا الى ملف

اللواء الدكتور عبدالرحمن الشحيتلي.

> **التفاوض علم وفن في الوقت نفسه ويتطلب اعصابا هادئة لتنال ما تريده**

الحدود، وعندما تقوم اسرائيل ببناء جدار اسمنتي لمنع اي خطر محتمل. يعني انها تسعى الى خلق حدود جديدة وهو ما يستدعي تدخل اللجان التقنية والفنية للبت بها ميدانيا. وهي مناسبة لأدعو الى تفعيل اللجنة التقنية الثلاثية التي تجمعنا مع اليونيفيل واسرائيل وسهت الى تثبيت الحدود من 2006 وحتى 2023 وهي مؤهلة لتصحيح الوضع، وان تأخر الامر قد تكون ازالته امرا شديد الصعوبة.

ياسين: كنا اقوياء جدا تقنيا وقانونيا

■ ما هي الظروف التي سبقت ورافقت توليك رئاسة الوفد المفاوض الى الترسيم البحري؟
□ منذ عام 2010 وحتى عام 2020، كان ملف المفاوضات حول المنطقة الاقتصادية الخالصة للبنان في يد الرئيس نبيه بري، وكانت الولايات المتحدة ترسل مبعوثا تلو الاخر كل سنة او سنتين لطرح حلول جديدة. غير ان جميع الطروحات الاميركية بقيت ضمن مساحة 860 كلم² المتنازع عليها، والمعروفة بخط 23 المسجل لدى الامم المتحدة بين لبنان واسرائيل. ما بين عامي 2012 و2020 ظهرت دراسات جديدة اثبتت حق لبنان بمساحة بحرية اوسع من الخط 23، بدءا من دراستي العميد البحري مازن بصبوص، والخبير في قانون البحار نجيب مسيحي، اضافة الى دراسة صادرة عن "UKHO" في الامم المتحدة. في عامي 2019 و2020، جرت محاولات لتعديل المرسوم 6433 على جدول اعمال مجلس الوزراء، بهدف المطالبة بالحقوق الاضافية للبنان جنوب الخط 23 لكنها لم تكتمل. وحين وقع انفجار مرفأ بيروت في 4 آب 2020 تجددت المحاولة ولم تنجح لأسباب سياسية داخلية حالت دون بته. في هذه الاثناء، ولما كان الاسرائيلي يخشى تعديل القانون، وما يمكن ان يتسبب به تسجيله لدى الامم المتحدة لجهة وقف الاعمال القائمة في حقل كاريش منذ العام 2014 وحتى تاريخه، اوعز الى الاميركي التدخل لبدء المفاوضات. ◄

العميد بسام ياسين.

◄ وعندها تم التوصل الى "اتفاق الاطار" الذي اعلن عنه الرئيس بري في الاول من تشرين الاول عام 2020. تبلغت يومها بالاستعداد لتولي مهمة رئاسة الوفد المفاوض ودعيت الى حفل اعلان اتفاق الاطار الى جانب قائد الجيش وتبلغ الجميع يومها تكليفي المهمة. ما بين تشرين الاول 2020 وايار 2021 اجرينا 5 جولات من المفاوضات اقتصر البحث فيها على المعطيات التقنية والقانونية في غياب الشؤون العسكرية والسياسية والاقتصادية، وغابت خلالها كل عوامل الضغط التي يمكن ان نتعرض لها.

■ كيف يمكن توصيف مسار المفاوضات والمعوقات التي واجهتها؟

□ كنا اقوياء جدا تقنيا وقانونيا، وحظينا باعتراف الاسرائيليين وتقدير الاميركيين والامم المتحدة بقوة طرحنا وصلابة موقفنا، فيما كنا نفتقد الغطاء السياسي الداخلي الذي كنا نريده لإنجاح المفاوضات. سعينا مع رئيس الحكومة ووزيري الاشغال والدفاع، وكذلك مع رئيس الجمهورية، لتعديل المرسوم 6433 تداركا لاي موقف اسرائيلي يعطل المفاوضات تهربا من تمسكنا بحقوقنا القانونية، فنجبره على تعديله للعودة الى طاولة المفاوضات على الخط الذي نريده. ورغم اقتناع البعض بأهمية الخطوة، الا ان "البلوك السياسي" كان حاضرا لتعطيلها. ذلك انه كان هناك من لا يريد تعديل المرسوم وازعاج الاميركيين، وهو ما حال دون اخراج الملف من اطار المفاوضات السياسية ليصب في موقع قوة لا يرغب البعض بامتلاكها. لذلك، لا يمكنني تجاهل ان تعطيل مشروع تعديل المرسوم شكل "طعنة" لحقت بفريق التفاوض، ذلك ان اعتماد الخط 29 كان سيلزم اسرائيل العودة الى طاولة التفاوض، ويمنعها من التفرد بحقل كاريش.

■ ما الذي جرى لاحقا لتشعر بمثل هذه الطعنة؟

□ بعد تلك المرحلة، احلت الى التقاعد في تشرين الاول عام 2021، انتقل الملف الى رئاسة الجمهورية، وتولت المفاوضات فرق سياسية لا تمتلك الخلفية التقنية والقانونية، وتحولت العملية بكل صراحة الى "بيع وشراء"، فور خروج الملف من اطاره التقني العسكري الى السياسي.

"كانت لنا خطط بديلة في مواجهة العدو عند حصول اي طارئ لم يكن محتسبا"

■ متى شعرت بأنك كنت في موقع ضعف او العكس؟

□ لم اشعر في تلك الفترة بالضعف ولو للحظة، ولكن كنت اشعر بالاحباط، لأن الوفد كان قويا للغاية، وقلنا لهم نحن اقوياء والمطلوب منكم ان تكونوا في ظهرنا. لقد أثبتنا حضورنا كأقوياء امام كل من كان على طاولة المفاوضات ولم نكن ضعفاء يوما.

■ ما كان توصيفك للموقف الاسرائيلي ابان المفاوضات؟

□ لم نفاجأ بالموقف الاسرائيلي الذي ادرك مسبقا ان الحق القانوني الى جانبنا، لذلك وضعنا سيناريوهات متعددة تحاكي ما كان متوقعا في المفاوضات، واعدنا العدة ليكون لنا خططا بديلة ان عند حصول اي طارئ لم يكن محتسبا. وكان مطلبنا تعديل المرسوم 6433 "الخطوة البديلة" لفشل المفاوضات. ولكن هذه الورقة التي تمنيناها سحبت من يدنا. وفي المقابل كان الجانب الاسرائيلي حاضرا لاستغلال ما كنا نعانيه في ظل ما كان عليه الموقف السياسي اللبناني والتردد في تعديل المرسوم. فلجأ الى المماطلة الى ان يفقد لبنان حق المطالبة في حقل كاريش متى بلغ مرحلة الانتاج.

■ كيف كان الموقف الاميركي الراعي للمفاوضات؟

□ لم يكن الدور الاميركي حياديا، وكان موفدهم جون دوروشيه يتصرف بما يخدم اسرائيل. في الموازاة كان ديفيد شينكر والسفيرة الاميركية يومها اليزابيت ريتشارد يمارسان الضغط على القيادات السياسية ليتنازل الوفد عن الخط 29 ونكتفي بالـ860 كلم². ولما اعتبروا العرض الاميركي بالتنازل عن خط 29 في مقابل كامل الخط 23، انجازا، لم يتنبهوا ان العرض كان مطروحا علينا بشروط أفضل بكثير ولم نقبل به.